الفصل الثانى

بيان من ملكوا مصر بعد الطوفان

بعد نجاة بيطار بـن حام بن نوح من الطوفان أذن له نوح بالذهاب إلـى مصر بصحبة حماه الكاهن قليمون، فدعى نوح لبيطار بألا ينقطع نسله وأن يكون ملك مصر له، وأن يعمر طويلاً، ويجـد سعادة الدارين، فكان هذا دعاء له بالخيـر، وقدم بيطار أرض مصر وبنى مـدينة منوف، وجلـس على العرش، ويطـلق علماء التـاريخ على بيطـار هذا أبو القبـابطة، وكان له ثـلاثون من الولد، ومـصرايم أول من ولد لـه عندما قدم مـصر فى العريش، وهو أعلـم وأعقل أبناء بيطار الثلاثـين، وعلمه جده قليمون الكـاهن كثيراً من العلوم العجيبة، حتى أصبح فريد دهره، ودله قليمون على جميع الكنوز التى فى مصر، وعُمّرَ بيطار بـعد والده مصرايم ثمانمائة وخمـسين سنة ولما تُوفى دفنوه فى الـهرم الكبير بجوار حماه قليـمون الكاهن، وجعلوا الخلافة من بعده لمصـرايم الذى ولد فى العريش، فاستقل بالمُلك، وبلغ إسنا وأسوان والسودان وبلاد الفونجة «فونجستان» وأصبح ملكًا نافذ الحكم، ووزع ثلاثـين من إخوته على أقالـيم مصر، وحكم كل مـنهم إقليمًا وشـيد فيه مدينة، وبفضل دعاء نـوح كان لهذه المدن أسماء أبناء بيطار للذكرى، فـمثلاً كان لبيطار ابن اسمـه رشيد فسميـت مدينة رشيـد باسمه، وكذلـك دمياط باسم دميـاط، وكذلك اسكندر باسم اسكنـدر، كما أن منهم تينه وسيف الذى شيد مدينـة بنى سويف، ومنهم من يسمى مـينا الذى أقام مدينة المنـيا، والشأن كذلك فى أشمـون، وأسيوط، وجرجة، وقنا، وقوص، وإسنـا، وأسوان، وشلال وإبريم وصاى وحلفا وسنـارة والسودان. فكل أمير من هؤلاء الأمراء شيد مدينة وإلى اليوم هذه المدن عامرة على ساحل النيل.

وكانت مهمـتهم فى تلك المدن مهمـة الحكام، أما أخوهم الأكبر مصـرايم فهو ملك العالـم وقد ولدته أمـه فى العريش ومـضت به إلى ظل شـجرة وكسـته من أوراق هذه الشجرة وزينت الأشجار بأحجار ثمينة، وجريًا على العادة عبدت الله تحت هذه الشجرة وبنت مدينة عظيمة بالقرب من تلك الشجرة واسمها (درسان) ومعناها فى العبرية (باب

الجنة)، وبينما كان مصرايم فى طريقه من غزة إلى مصر ظهرت على يُمنة طريقه آثار كثير من الأبنية، وعندما هدم بخت نصَّر مصر انهدمت كذلك مدينة درسان.

ومن الملوك الذين ملكوا مصر بعد ذلك يوسف صلاح الدين، والسلطان قايتباى، ولقد أقاما جامعًا وقلاعًا من أحجار ورخام درسان، وعمرا مصر، وابن مصرايم بانى هذه المدينة مدفون فى قبر عالى القبة، قبته تمس الفلك علوًا، وقد تخربت هذه المدينة، أما سبب عمران هذه القبة فهو أن جميع القبط يزورونها ويعمرونها ويرممونها واسمه قبطم بن بيطار بن حام بن نوح ـ عليه السلام ـ، أما مصرايم فقد عُمر سبعمائة عام وبذل الجهد فى إعمار مصر كأنها صرح شامخ، وكان له مائتان من الولد وكثرت لأولاده ولإخوتهم الثلاثين الذرية، حتى أصبح إقليم مصر بحرًا من بنى آدم، وكانوا جميعًا على دين جدهم نوح ـ عليه السلام ـ، وأولاد مصرايم هذا استقل كل منهم بحكم إقليم وبعد أن عاش مصرايم سبعمائة عام وقع تحت حكم قوله ـ تعالى ـ: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨]، ودفن مصرايم مع أبيه بيطار فى الهرمين إلى جانب سوريد بانيهما قبل الطوفان، وفى ذلك العهد كان يزور الهرمين عوام الناس وخواصهم لأن الملوك قاطبة كانوا يدفنون فيها، كما كانوا إلى عهد إبراهيم ـ عليه السلام ـ يطوفون حولها كالطواف حول الكعبة، ولكن أصبح الملك من بعد فى مدينة درسان لقبطم، وهو من أم قبطية، وفى درسان التى أقامها أبوه مصرايم بدأ يعبد الله تحت الشجرة التى ولد فى ظلها، وبدأت عبادة الشجرة بقبطم، وقد ارتد عن دين جده نوح، ووقعت الفرقة بين إخوته وعمومته الثلاثين، وابتدع كل منهم له مذهبًا، وأخذ ابن مصرايم له مذهبه عن قبطم، وذاعت له الشهرة وأصبح ملكًا عظيمًا، وجميع القبط من نسله، وبقيت تواريخ القبط منه، ومن نسل إدريس عالم أحاط بكل العلوم وكتب تواريخ القبط (فليس لتواريخ القبط أصل ونشأة، لأنه بعد هبوط آدم وبفضل إدريس انتشر علم الكتابة وعلم الحساب وعلم النجوم، وقد تيسرت تلك العلوم لقوم القبابطة، إنهم لا يشبهون قومًا آخرين، والآن[1] فى مصر كل أرباب الدولة فى حاجة إليهم، فليس لهم من نظير

(١) على عهد الكاتب.

فى علم الحساب والفراسة والتخطيط، حتى إن أعيان مصر يعتقدون أنهم أهلهم، وأن جميع حوائجهم ولوازمهم منهم، إنهم قوم يتقنون الحساب، فهم يحسبون كل (دانق) ينفق، ويقيدون، ولا وجود لهم إلا فى ديار مصر، ويقول هؤلاء القوم إن الملك قبطم (نبى)، وأما الآن فهم على دين المسيح ـ عليه السلام ـ، وهم قوم مدققون كثيرًا فى أكلهم وشربهم، ويقولون فى جميع الأوقات نحن قبط.

وتقول تواريخ الصابئة إن سيدنا هود ولد فى عهد قبطم بمدينة (ثمود)، ومن عهد آدم إلى عهد قبطم كان الناس يتكلمون بالعبرية، ولكون قبطم متضلعًا فى شتى العلوم شاعت فى عهده لغات مختلفة، وقد ألهم الله قبطم الفصاحة فى اللغة القبطية، وظل قبطم ملكًا لمدة أربعمائة وثمانين عامًا، وأدركه الموت ودفن فى جبل الهرمين إلى جانب أبيه مصرايم، ثم ملك بعده أخوه (اشمون)، واشمونين مدينتان وهو بانيهما، وأشمون فى العبرية بمعنى مَلَك له صفة الثور حامل الأرض ولهذا السبب كانت الثيران غاية فى الكثرة بتلك المدينة، ومن المشهور بين عرب مصر أن الإنسان الأبله يُشَبّه بثور أشمون، ويجرى هذا مجرى المثل، إلا أن هذه المدينة ليست عامرة، وفى وقتنا هذا قراها عامرة، ومات أشمون، فملك أخوه اتريب، ومات كذلك، وخلفه صاى وبينما كان يصيد فى بلاد الفونجة قتله فيل، وقد كان ملكًا غاية فى النجدة والبسالة، وهو الذى شيد مدينة صاى الحالية[1] وقلعتها على حدود مصر وبلاد الفونجة، وأفضى الملك من بعده إلى تدارس بن صاى، وولد صالح ـ عليه السلام ـ فى عهد تدارس هذا، ومات وتولى بعده ابنه ماليق، إلا أنه لم يعمر إلا مائتى سنة، ولم يعقب فكان الملك لأخيه (خَرْبِتا) بن قبطيم، وانقضى عمره.

فكان الملك لولده (كلكن)، ولم يعقب كذلك، فخلفه فى الملك أخوه (مَلْبَاية) بن خربتا وقد شيد فى بلاد النوبة كثيرًا من المدن، ولما فارق الدنيا أصبح ابنه طوطيس ملكًا وكان طاغية جبارًا.

(١) على عهد الكاتب.

● حكاية ●

قدم إبراهيم ـ عليه السلام ـ فى عهد طوطيس إلى مصر مع أمنا سارة فَمَدَّ طوطيس يده إليها، فجفّت يده بأمر الله ـ تعالى ـ، ولكن دعا له إبراهيم ربه، فشفيت يده إلا أنه لم يستطع كبح جماح نفسه الأمَّارة ووضع يده على أمنا سارة فأصبحت يداه قديداً، ولكن إبراهيم عفا عنه ثانية ودعى له، فعادت يداه إلى ما كانت عليه من قبل، وفى التو رفع طوطيس أصبع الشهادة قائلاً: «لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله»، ودخل فى الإسلام وزوج إبراهيم من أُمّنا هاجر وولد من هاجر القبطية سيدنا إسماعيل، وثم قدّم طوطيس إلى إبراهيم ما لا يحصى كثرة من الهدايا، وأرسل إبراهيم إلى مدينة جدة على بحر السويس، ثم شق طوطيس الجبال الواقعة فى مقابل مدينة بنى سويف لفرط محبته لإبراهيم، وأجرى النيل إلى بحر السويس بمقدار مسيرة ثلاثة أيام، فأرسل كثيراً من السُّفن فى النيل إلى السويس، وكانت له مكة، وعاش مائتى عام ودام له الملك مائة وثمانين عامًا، وملك الدنيا من أقصاها إلى أقصاها، ودفنوه فى الهرمين إلى جانب أبيه خربتا، وأصبحت ابنته (خَرُوبَا) ملكة من بعده و(خَرُوبَا) بنت طوطيس هى الملكة الأولى على هذه الأرض، ودام الملك لها سبعين عامًا وهى على ملة إبراهيم، ثم ماتت ثم كان الملك من بعدها لابنة عمها (زَالِقا)[1]، إلا أنها تعاطت السحر كثيراً، ودفنت إلى جانب أبيها (مأموم)، ويقول القبابطة الآن إنها زوجة نبىّ، وهذا اعتقاد باطل، ولها ضريح يزار فى مدينة (بهنيا) واستخدمت السحر على أنها تصنع به المعجزات، وكتب عنها القبط فى تواريخهم، ولكن لله من الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبىٍّ وليس فيهم أحد من النساء، وامتد بزاليقا العمر طويلاً، وكثر عدد القبط فى عصرها إلى حد أنهم انتشروا فى أقاليم مصر كلها، وإلى وقوع الطوفان، ومن بيطار بن حام بن نوح إلى عهد زليخة حكم مائتان وأربعون وألف ملك، ودامت دولهم ألفى عام وستة وفى عصر زاليقا ظهر بنو (العمالقة)، وألحقوا الهزائم بجند مصر وكان لهم ملكها.

* * *

(١) وتعريبها: زليخة.